# الآثار المعرفية في الروايات التفسيرية

## للإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

## - أمثلة مختارة لروايات العقيدة والفقه -

**الدكتور الشيخ عماد موسى محمود الكاظمي**
emadalkadhimi@yahoo.com
**العتبة الكاظمية المقدسة ـ مكتبة الجوادين العامة**

# Cognitive effects in the explanatory narrations of Imam Muhammad bin Ali Al-Jawad (peace be upon him) - selected examples of narrations of doctrine and jurisprudence

Dr. Sheikh Imad Musa Mahmoud Al-Kazemi
The Holy Kadhimiya Shrine - Al-Jawadin Public Library

## الملخص:-

إنَّ للمسلمين تراثًا كبيرًا حافلًا بما تحتاجه الإنسانية في أدوارِ حياتها المختلفة، ويُعَدُّ القرآن الكريم أساس ذلك الإرث الإسلامي؛ لأنه من عند الله تعالى العليم الحكيم، حيث جعل للبشرية نظامًا متكاملًا يحقق سعادتهم ويهديهم إلى الصراط السوي في جميع تلك المجالات، وذلك من خلال تعاليمه التي تضمَّنها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فالقرآن الكريم هو الدستور السماوي الذي ينظم حياة المسلمين وشؤونهم؛ لأجل ذلك كان الاهتمام به تلاوةً وفهمًا وتعلُّمًا من أهمِّ أولويات المسلمين في التعامل مع كتاب الله تعالى في جميع العصور منذ اليوم الأول لنزولِ الوحي إلى يومنا، وقد كانت البذرة الأولى لذلك هي تلك التعاليم المقدسة التي كانت من قبل النبي صلى الله عليه وآله والتي حثت على تلاوةِ القرآن وفهمِ معانيه والتدبرِ في آياته، واتِّخاذه إمامًا في كُلِّ مفاصل الحياة، فكانت سيرته صلى الله عليه وآله تجسِّدُ معاني القرآن الكريم، حيث كان يؤكد ذلك الاهتمام من خلال تلاوة القرآن على أصحابه، وتفسيره لهم آيةً آيةً، بل كلمةً كلمةً؛ ليفهموا كلام الله؛ ويؤكد لهم عظمته وقدسيته وأهميته في حياتهم، وتُعَدُّ هذه أولى أدوار تفسير القرآن الكريم، والذي يُعرف اصطلاحًا بـ(التفسير بالمأثور)، ثم تابع ذلك بخطوات عدة، منها الاهتمام الخاص ببعض أصحابه وأهل بيته في معرفة حقيقة القرآن وفهم أسراره ومعانيه؛ لينشروا ذلك بين المسلمين، وقد تجلى هذا الاعتناء في كثرة الأحاديث الواردة في فضل القرآن الكريم، وما ورد عنهم في تفسير آياته؛ كونهم عِدْلَ القرآنِ الكريم والأعرف بفهم مقاصده ومعانيه.


**الكلمات المفتاحية:** الإمام محمد الجواد عليه السلام، الآثار المعرفية، الروايات التفسيرية، روايات العقيدة والفقه.


## Abstract:-

Muslims have a great heritage full of what humanity needs in the various stages of its life, and the Holy Qur'an is the foundation of that Islamic heritage. Because it is from God Almighty, the All-Knowing, the Wise. He created for humanity an integrated system that achieves their happiness and guides them to the right path in all these fields, through His teachings contained in the Holy Qur'an and the Noble Prophet's Sunnah.

The Holy Qur'an is the heavenly constitution that regulates the lives and affairs of Muslims. For this reason, paying attention to its recitation, understanding and learning was one of the most important priorities of Muslims in dealing with the Book of God Almighty in all ages from the first day of the revelation to our day. The first seed for this was those sacred teachings that were from the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace). Which encouraged reciting the Qur'an, understanding its meanings, contemplating its verses, and taking it as an imam in all aspects of life. His biography (may God's prayers and peace be upon him and his family) embodied the meanings of the Holy Qur'an, as he used to confirm this interest by reciting the Qur'an to his companions, and interpreting it to them verse by verse. word by word; To understand the word of God; He assures them of its greatness, sanctity, and importance in their lives. This is considered the first stage of interpreting the Holy Qur'an, which is known terminologically as (interpretation by aphorisms). Then he followed that with several steps, including the special interest of some of his companions and members of his household in knowing the truth of the Qur'an and understanding its secrets and meanings. To spread this among Muslims, and this care was evident in the many hadiths mentioned about the virtue of the Holy Qur'an, and what was reported from them in interpreting its verses. Because they are the most knowledgeable of the Holy Qur'an and the most knowledgeable about understanding its purposes and meanings.


**Key words:** Imam Muhammad al-Jawad (peace be upon him), epistemological effects, explanatory narrations, narrations of doctrine and jurisprudence.

## المقدمة:

نحاول في هذا الصفحات الموجزة للبحث بيان الآثار المعرفية المختلفة التي يمكن الإفادة منها من الروايات التفسيرية الواردة عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، وما سيتم بيانه إنَّما هو آستكمال لمشروعنا القرآني في الروايات التفسيرية الواردة عن الأئمة عليهم السلام، وعرضها على وفق منهج الثقلين، فنسأله تعالى التوفيق لإتمام ذلك؛ خدمة لكتاب الله تعالى، وسيتم تقسيم البحث على مقدمة وتمهيد وموارد خمسة فخاتمة، ثم ثبت للمصادر والمراجع.

### - التمهيد: التفسير بالمأثور وأثره في التفاسير القرآنية

يُعَدُّ التفسير بالاعتماد على الروايات الشريفة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والصحابة هو منهج من مناهج التفسير للقرآن الكريم، والذي يُعرف بـ(التفسير بالمأثور)، ويمكننا أنْ نتعرف على ذلك بإيجاز من خلال بيان معنى (التفسير، والأثر) كما ذكره العلماء، فالتفسير هو: ((كَشْفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكِلِ))[١]، أو هو: ((عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللهِ الْمُنْزَلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ "صلى الله عليه [وآله] وسلم"، وَتَبْيِينُ مَعَانِيهِ، وَآسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ))[٢]، والأثر هو: ((أَعَمُّ مِنَ الْخَبَرِ وَالْحَدِيثِ، وَقِيلَ: مُسَاوٍ لِلْخَبَرِ))[٣]، فيكون هذا التفسير آستناده إلى الروايات فقط، وهو تفسير يجب على المفسر للقرآن الكريم أنْ يكون على آطلاع واسع بالروايات التفسيرية للآيات المباركة، وورد في بيان ذلك: ((إِنَّ وَاجِبَ الْمُفَسِّرِ هُوَ مُلَاحَظَةُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي التَّفْسِيرِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَأَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، وَالْغَوْرُ فِيهَا؛ لِيَعْرِفَ طَرِيقَتَهُمْ، ثُمَّ يُفَسِّرَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِالْمَنْهَجِ الَّذِي يُسْتَفَادُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَأْخُذَ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي تُوَافِقُ الْكِتَابَ، وَيَطْرَحُ مَا عَدَاهَا))[٤].

وبعد هذه النبذة الموجزة عن التفسير بالمأثور نبيِّن تلك الروايات الشريفة للإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، مع بيان الموارد المعرفية لتلك الروايات، وقد آخترتخمس روايات تفسيرية تتعلق بالعقيدة والفقه من جملة تراث الإمام الجواد التفسيري، وبيان ما يمكن الإفادة منها من معارف أخرى في موارد مختلفة أولًا، وبيان أقوال المفسرين لتلك الآيات المباركة ومعرفة مدى مطابقتها للروايات التفسيرية الجوادية ثانيًا، ومناقشة بعض الأقوال والروايات الواردة في ذلك ثالثًا، وسيتم الابتداء بالروايات التفسيرية الخاصة بالعقيدة ثم الفقه.

وإنَّ هذه الروايات الشريفة مما أغنت المكتبة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم بالمأثور، وهي - في الوقت نفسه - بحاجة إلى تسليط الضوء عليها في الدراسات القرآنية لمعرفة ما تتضمنه من معرفة وآثار، فالروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم كثيرة، وقد تغني الباحث بما ورد فيها في أبواب متعددة؛ لننهل من ثِقْلِ الكتاب المعين الصافي لوحي الله تعالى، فهم أهل الذكر وخاصته الذين أمر الله تعالى عباده بالرجوع إليهم، إذ قال عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥].

**- المورد الأول:**

قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٦].

❖ روى أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري[٧]، قال: ((قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِيْ [الإمام محمد الجواد] عليه السلام: قَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. قَالَ عليه السلام: يَا أَبَا هَاشِمٍ! أَوْهَامُ الْقُلُوْبِ أَدَقُّ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُوْنِ، أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ، وَالْبُلْدَانَ الَّتِيْ لَمْ تَدْخُلْهَا، وَلَا تُدْرِكُ بِبَصَرِكَ ذَلِكَ، فَأَوْهَامُ الْقُلُوْبِ لَا تُدْرِكُهُ، فَكَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ؟))[٨].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّن مسألة مهمة من المسائل العقدية التي آستعرضتها الشريعة الإسلامية المقدسة، وبيَّنت ما يتعلق بها، فالآية المباركة في مقام بيان ما يتعلق برؤية الله تعالى من قبل الإنسان، وهل يمكن ذلك في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما معًا، أو يمتنع ذلك مطلقًا، ولأجل أنْ نكون على بينة مما ورد في الرواية الشريفة وما تضمَّنته نحاول بيان موضوعات ثلاثة بإيجاز:

الأول: ما المراد بالإدراك.

الثاني: أقوال المفسرين.

الثالث: مناقشة الروايات في الرؤيا.

**- الأول: ما المراد بالإدراك.**

ورد أنَّ للإدراك معانٍ متعددة، وإنْ كان الأصل في اللغة واحد وهو (الوصول والبلوغ)، وإنَّ هذا الاختلاف له أثر في تفسير المراد من الآية المباركة، وهذا ما سنراه في

أقوال اللغويين والمفسرين.

١- **قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م):** ((الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ لُحُوقُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَوُصُولُهُ إِلَيْهِ. يُقَالُ: أَدْرَكْتُ الشَّيْءَ أُدْرِكُهُ إِدْرَاكًا.... وَيُقَالُ: أَدْرَكَ الْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ إِذَا بَلَغَا. وَتَدَارَكَ الْقَوْمُ لَحِقَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ))[٩].

٢- **قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م):** ((وَأَدْرَكَ بَلَغَ أَقْصَى الشَّيْءِ، وَأَدْرَكَ الصَّبِيُّ بَلَغَ غَايَةَ الصِّبَا وَذَلِكَ حِينَ الْبُلُوغِ، قَالَ [تَعَالَى]: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾[١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى الْبَصَرِ الَّذِي هُوَ الْجَارِحَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْبَصِيرَةِ، وَذَكَرَ [تعالى] أَنَّهُ قَدْ نَبَّهَ، وَالتَّدَارُكُ فِي الْإِغَاثَةِ وَالنِّعْمَةِ أَكْثَرُ، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[١١]، وَقَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّٰرَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾[١٢] أَيْ لَحِقَ كُلٌّ بِالْآخَرِ))[١٣].

إنَّ الراغب قد وسَّع المعنى اللغوي للإدراك الذي تقدَّم في كلام ابن فارس المتقدم والذي يطابق كلام كثير من اللغويين في ذلك، وذكر المعاني التي يمكن أنْ ينصرف إليه ذلك المعنى، وأنَّ الرؤية بالبصر والبصيرة مما فسَّره المفسِّرون، ولكنَّ الله تعالى قد نبَّه بالنفي لها، فضلًا عن المعاني الأخرى التي استعملها القرآن الكريم في مواردها الخاصة.

٣- **قال الشيخ فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ/١٦٧٤م):** ((قَوْلُهُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أَيْ لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ مَتَى قُرِنَ بِالْبَصَرِ لَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا الرُّؤْيَةَ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا قُرِنَ بِآلَةِ السَّمْعِ فَقِيلَ: أَدْرَكْتُهُ بِأُذُنِي لَمْ يُفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا السَّمَاعَ، وَكَذَا إِذَا أُضِيفَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَوَاسِ أَفَادَ مَا بِتِلْكَ الْحَاسَّةِ آلَتُهُ، مِثْلُ أَدْرَكْتُهُ بِفَمِي أَيْ وَجَدْتُ طَعْمَهُ، وَأَدْرَكْتُهُ بِأَنْفِي أَيْ وَجَدْتُ رَائِحَتَهُ، وَالْمَعْنَى لَا تُدْرِكُهُ ذَوُو الْأَبْصَارِ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ أَيِ الْمُبْصِرِينَ، وَيُقَالُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ أَيِ الْأَوْهَامُ))[١٤].

إنَّ الشيخ الطريحي فصَّل القول أكثر وأراد بيان أهمية القرينة في فهم المراد من الألفاظ التي لها معانٍ مشتركة، وقد أكَّد على إمكانية انصراف معنى الإدراك إلى معانٍ متعددة إنما تُفهم من خلال القرينة، والإدراك من هذه المعاني، ووجود لفظ (البصر) دلالة على أنَّ المراد هي الرؤية البصرية من دون غيرها من المعاني، كما ورد في الأمثلة المتعددة.

على أساس ما تقدم وغيره من كلمات العلماء يمكن القول بأنَّ الإدراك إنْ أُريد به الرؤية المادية (البصر)، أو الرؤية المعنوية (البصيرة) فيما يتعلق بالله تعالى فهذا الوصول لا يتحقق مطلقًا؛ لأنَّ الأول ممتنع عنه سبحانه كما سيأتي، والثاني لا يمكن للمحدود (الإنسان) أنْ يصل إلى إدراك المطلق (الله)، فالآية تنفيهما معًا.

**- الثاني: أقوال المفسرين.**

إنَّ المفسرين قد ذكروا فيما يتعلق بالآية المباركة أقوال متعددة وسوف لا أستعرض الروايات التفسيرية الواردة في التفاسير بالمأثور[١٥] وإنما التأكيد على بعض التفاسير التي بذل المفسرون جهودهم في مناقشة ذلك تأييداً أو نفيًا، نذكر منهم:

**١- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م):** ((فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُرَى بِالْأَبْصَارِ؛ لِأَنَّهُ تَمَدَّحَ بِنَفْيِ الْإِدْرَاكِ عَنْ نَفْسِهِ، وَكُلَّمَا كَانَ نَفْيُهُ مَدْحًا غَيْرَ مُتَفَضِّلٍ بِهِ فَإِثْبَاتُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا نَقْصًا، وَالنَّقْصُ لَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى، فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِدْرَاكُهُ، وَلَا رُؤْيَتُهُ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَحْتَاجُ إِلَى بَيَانِ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا: إِنَّهُ تَعَالَى تَمَدَّحَ بِالْآيَةِ. وَالثَّانِي: إِنَّ الْإِدْرَاكَ هُوَ الرُّؤْيَةُ. وَالثَّالِثُ: إِنَّ كُلَّمَا كَانَ نَفْيُهُ مَدْحًا لَا يَكُونُ إِثْبَاتُهُ إِلَّا نَقْصًا.

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى تَمَدُّحِهِ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا: إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي أَنَّهُ تَعَالَى تَمَدَّحَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقُولُنَا: تَمَدَّحَ بِنَفْيِ الْإِدْرَاكِ عَنْ نَفْسِهِ لِاسْتِحَالَتِهِ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْمُخَالِفُ: تَمَدَّحَ لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَنْعِ الْأَبْصَارِ مِنْ رُؤْيَتِهِ، فَالْإِجْمَاعُ حَاصِلٌ عَلَى أَنَّ فِيهَا مِدْحَةً. وَالثَّانِي: إِنَّ جَمِيعَ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَعْدَهَا مِدْحَةٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَخَلَّلَ ذَلِكَ مَا لَيْسَ بِمِدْحَةٍ))[١٦].

إنَّ هذا القول من الشيخ الطوسي قدس سره في إثبات نفي الرؤية عن الله تعالى قائم على أمرين مهمين، **الأول:** له علاقة بالعقيدة الإسلامية في نفي صفات السلب عنه تعالى، والرؤيا كما هو مورده من صفات السلب، سواء أكانت في الدنيا أم الآخرة فإنها تدل على حدِّه تعالى وتجسيمه، وهذا مما لا يليق بالخالق عز وجل.

**الثاني:** له علاقة بالبحث القرآني في معرفة المراد من النص ضمن السياق العام، من

دون القطع بينه، فالسياق العام للآية المباركة في تأكيد تنزيهه تعالى عمَّا يؤمن به المشركون، حيث الإيمان بالمادة وحدودها وقيوده، فكان نفي الرؤية هي إحدى الصفات التي تخللت ذلك النص، فنفى الشريك، والصاحبة، والولد وغيرها، وإثبات القدرة الإلهية المطلقة، وإبداعه في الخلق، وآياته المختلفة التي تدل على عظمته وغير ذلك، لذا قال: ((إِنَّ جَمِيْعَ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ قَبْلَ هَذِهِ الآيَةِ وَبَعْدَهَا مِدْحَةٌ)).

**٢- قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١١٥٣م):** ((فِيْ هَذِهِ الْآيَةِ مَسَائِلُ: الْمَسْأَلَةُ الْأُوْلَى: اَحْتَجَّ أَصْحَابُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى تَجُوْزُ رُؤْيَتُهُ، وَالْمُؤْمِنُوْنَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ وُجُوْهٍ، الْأَوَّلُ: فِيْ تَقْرِيْرِ هَذَا الْمَطْلُوْبِ أَنْ نَقُوْلَ: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى تَجُوْزُ رُؤْيَتُهُ. وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا وَجَبَ الْقَطْعُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِيْنَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَمَّا الْمَقَامُ الأَوَّلُ: فَتَقْرِيْرُهُ: أَنَّهُ تَعَالَى تَمَدَّحَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وَذَلِكَ مِمَّا يُسَاعِدُ الْخَصْمَ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ بَنَوْا اَسْتِدْلَالَهُمْ فِي إِثْبَاتِ مَذْهَبِهِمْ فِيْ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُوْلُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ تَعَالَى جَائِزَ الرُّؤْيَةِ لَمَا حَصَلَ التَّمَدُّحُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَعْدُوْمَ لَا تَصِحُّ رُؤْيَتُهُ، وَالْعُلُوْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ وَالرَّوَائِحُ وَالطُّعُوْمُ لَا يَصِحُّ رُؤْيَةُ شَيْءٍ مِنْهَا، وَلَا مَدْحَ لِشَيْءٍ مِنْهَا فِيْ كَوْنِهَا بِحَيْثُ لَا تَصِحُّ رُؤْيَتُهَا))[١٧].

إنَّ هذا الاستدلال العقلي من الفخر الرازي - على عمقه - لا يخلو من ضعف أو إشكال، فإنْ كان المدح دلالة على الوجود كما في الإدراك وإمكانية رؤيته تعالى، وأنَّ مدح المعدوم لا يصحُّ أو يعدُّ لغواً، كما ذكر ذلك في (العلم والقدرة والإرادة والروائح والطعوم)، فنقول: ما رأيه في نفي الله تعالى صفات متعددة في السياق القرآني للآية المباركة مثل (نفي الشريك له تعالى، ونفي الصاحبة والولد له، وإثبات خلق كل شيء) فهل هذه الموضوعات وغيرها في الآيات السابقة لآية الإدراك لا تدل على المدحة له تعالى؟!

فالآيات ظاهرة جلية في الدلالة على مدحه وتنزيهه عمَّا لا يليق به، فهل يعني ذلك أنَّ نفيه يدل على وقوعها لأنه بصدد المدح، والمدح لا يكون إلى في الواقع من دون المعدوم!!

فإنَّ هذه المذكورات لا يمكن أنْ تدركها القلوب والأوهام على قدرتها الكبيرة فضلًا

عن العين بقدرتها البسيطة المحدودة!!

وهذا عين ما أشارت إليه الرواية التفسيرية للإمام محمد الجواد عليه السلام لو تأملنا فيها بدقة.

فالآية من حيث هي ضمن السياق القرآني تدل على عدم إمكانية الرؤية، بل استحالة ذلك، ويجب على المفسِّر المنصف المتجرِّد أنْ لا يقوم بمطاوعة النص على وفق ما يؤمن هو به مُسبَّقًا، فالقرآن ذو رؤية واضحة دقيقة، فضلًا عن تواتره التام، بخلاف الروايات، ومنها الواردة في بيان رؤيته والمتضاربة فيما بينها كما سيأتي.

٣- **قال السيد الطباطبائي:** ((وأَمَّا قَوْلُهُ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فَهُوَ لِدَفْعِ الدَّخْلِ الَّذِي يُوهِمُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ بِحَسَبِ مَا تَتَلَقَّاهُ أَفْهَامُ الْمُشْرِكِينَ السَّاذِجَةُ وَالْخِطَابُ مَعَهُمْ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا صَارَ وَكِيلًا عَلَيْهِمْ كَانَ أَمْرًا جِسْمَانِيًّا كَسَائِرِ الْجِسْمَانِيَّاتِ الَّتِي تَتَصَدَّى الْأَعْمَالُ الْجِسْمَانِيَّةُ، فَدَفَعَهُ بِأَنَّهُ تَعَالَى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لِتَعَالِيهِ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ دَفْعٌ لِمَا يَسْبِقُ إِلَى أَذْهَانِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اعْتَادُوا بِالتَّفَكُّرِ الْمَادِّيِّ، وَأُخْلِدُوا إِلَى الْحِسِّ وَالْمَحْسُوسِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى إِذَا ارْتَفَعَ عَنْ تَعَلُّقِ الْأَبْصَارِ بِهِ خَرَجَ عَنْ حِيطَةِ الْحِسِّ وَالْمَحْسُوسِ، وَبَطَلَ نَوْعُ الِاتِّصَالِ الْوُجُودِيِّ الَّذِي هُوَ مَنَاطُ الشُّعُورِ وَالْعِلْمِ، وَانْقَطَعَ عَنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَلَا يَعْلَمُ بِشَيْءٍ، كَمَا لَا يَعْلَمُ بِهِ شَيْءٌ، وَلَا يُبْصِرُ شَيْئًا، كَمَا لَا يُبْصِرُهُ شَيْءٌ، فَأَجَابَ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ثُمَّ عَلَّلَ هَذِهِ الدَّعْوَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾))[١٨].

إنَّ كلام السيد الطباطبائي قدس سره يدلُّ على مقامه ومنزلته العلمية في التعامل مع النص القرآني لبيان تفسيره وتأويله، وخصوصًا ما يتعلق بالآيات العقائدية، أو الآيات المتضمنة المتشابهات، مثل هذه الآية الكريمة موضوع البحث، فالسيد أكَّد على أنَّ القرآن الكريم كان دقيقًا في بيان العقيدة، مع مراعاة ما كان المشركون أو الكفار يؤمنون به، أو يدَّعونه، فلمَّا كانت علاقتهم بصورة عامة مع الآلهة التي يعبدونها قد صوَّروا لها تجسيمات، وكان يعتقدون بوجودها وحضورها في الواقع بالتأثير على الإنسان وما يدور حوله، وقد ردَّ الله تعالى تلك العقائد الفاسدة في كثير من الآيات، والآية المباركة في سياق آيات متعددة تدل

على عظمته ووحدانيته، وتنزيهه عمَّا لا يليق به، وقد أبدع السيد الطباطبائي بقوله ((وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا صَارَ وَكِيْلًا عَلَيْهِمْ كَانَ أَمَرًا جِسْمَانِيًا كَسَائِرِ الْجِسْمَانِيَّاتِ الَّتِي تَتَصَدَّى الْأَعْمَالُ الْجِسْمَانِيَّةُ، فَدَفَعَهُ بِأَنَّهُ تَعَالَى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لِتَعَالِيْهِ عَنِ الْجِسْمِيَّةِ وَلَوَازِمِهَا))، وأظن أنَّ ما ذكره السيد الطباطبائي في بيان ما يتعلق بالآية يعد من أدق الكلام وأهمه، ويحتاج إلى دقة وتأمل في كلامه.

هذا ما حاولت بيانه بإيجاز حول الآية المباركة التي ذكر الإمام محمد الجواد عليه السلام تفسيرها، وقد ناقش علماء الكلام ما يتعلق بذلك بتفصيل، وأثبتوا امتناع رؤيته سبحانه[١٩].

**- الثالث: مناقشة الروايات الواردة في الرؤيا.**

لقد وردت روايات متعددة في كتب الفريقين تتعلق برؤية الله تعالى، فالروايات الواردة عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام كثيرة تؤكّد امتناع ذلك، فضلاً عن روايات العامة التي أوردوها في إمكانية رؤيته يوم القيامة، ونحاول بإيجاز بيان بعض تلك الروايات إتماماً للبحث.

- **عن عاصم بن حميد، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ:** ((ذَاكَرْتُ أَبَا عَبْد الله عليه السلام فِيمَا يَرْوُوْنَ مِنَ الرُّؤْيَةِ فَقَالَ: الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءً مِنْ نُوْرِ الْكُرْسِيِّ، وَالْكُرْسِيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءً مِنْ نُوْرِ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءً مِنْ نُوْرِ الْحِجَابِ، وَالْحِجَابُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءً مِنْ نُوْرِ السِّتْرِ، فَإِنْ كَانُوْا صَادِقِيْنَ فَلْيَمْلَؤُوْا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ))[٢٠].
- **عن أحمد بن إسحاق، قَالَ:** كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِث [الإمام الهادي] عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ الرُّؤْيَةِ وَمَا فِيْهِ النَّاسُ فَكَتَبَ عليه السلام: ((لَا يَجُوْزُ الرُّؤْيَةُ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ هَوَاءٌ يَنْفُذُهُ الْبَصَرُ، فَإِذَا انْقَطَعَ الْهَوَاءُ وَعَدَمَ الضِّيَاءِ بَيْنَ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ لَمْ تَصِحُّ الرُّؤْيَةُ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الاشْتِبَاهُ؛ لِأَنَّ الرَّائِيَ مَتَى سَاوَى الْمَرْئِيَ فِي السَّبَبِ الْمُوْجِبِ بَيْنَهُمَا فِي الرُّؤْيَةِ وَجَبَ الاشْتِبَاهُ وَكَانَ فِي ذَلِكَ التَّشْبِيْهُ؛ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ لَا بُدَّ مِنِ اتِّصَالِهَا بِالْمُسَبَّبَاتِ))[٢١].

فالروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في نفي الرؤيا، وأنَّ الإدراك في الآية ينفي رؤيته

تعالى، ومما ورد عن الشيخ محمد صالح المازندراني (١٠٨١هـ/١٦٧٠م) في شرحه لأحاديث الرؤيا: ((إنَّ اعْتِبَارَ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ الْمَذْكُورَ؛ لِأَنَّهَا سَبَبٌ لَهُ، وَالسَّبَبُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا بِالْمُسَبَّبِ، غَيْرَ مُنْفَكٍّ عَنْهُ، وَأَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا لِجَمِيعِ مَا ذُكِرَ فِي هَذَا الدَّلِيلِ، تَوْضِيحُهُ أَنَّ الْهَوَاءَ الْمُتَوَسِّطَ سَبَبٌ لِلرُّؤْيَةِ، وَلِكَوْنِ هَذَا رَائِيًا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ رَاءٍ وَذَاكَ مَرْئِيٌّ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ مَرْئِيٌّ، فَوَجَبَ اتِّصَالُهُ بِهِمَا وَاتِّصَالُهُ بِهِمَا سَبَبٌ لِكَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاقِعًا فِي حَيِّزٍ، وَفِي طَرَفٍ مِنْهُ، وَمَوْصُوفًا بِالْجِسْمِيَّةِ وَلَوَاحِقِهَا فَوَجَبَ اتِّصَالُ هَذَا الِاتِّصَالِ بِكَوْنِهِمَا عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَكَوْنُهُمَا عَلَى هَذِهِ الْأَوْصَافِ سَبَبٌ لِوُقُوعِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا، فَوَجَبَ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ، وَتِلْكَ الْمُشَابَهَةُ سَبَبٌ لِلتَّشْبِيهِ))[٢٢].

ومما ورد من روايات العامة في أنَّ الله يُرى يوم القيامة:

- عن صهيب عن النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) قال: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطَوْا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ))[٢٣].
- عن عطاء بن يزيد الليثي أنَّ أبا هريرة أخبره أنَّ ناسًا قالوا لرسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): ((يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمْ" هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ.... فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ....))[٢٤]. وغير ذلك من الروايات التي تدل على تجسيم الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وقال أبو الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ/٩٣٩م) تعقيبًا على عقيدة رؤيته سبحانه عند العامة: ((وَنَدِينُ بِأَنَّ اللهَ يُرى فِي الآخِرَةِ بِالأَبْصَارِ كَمَا يُرَى القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ، يَرَاهُ المؤمنونَ كما جاءَتْ الرواياتُ عن رسولِ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم"))[٢٥]، فضلًا عمَّا تقدم

من كلام الفخر الرازي وغيره.

هذا ما حاولت بيانه لأقوال المفسرين والعلماء في الآية المباركة، وآراء علماء المسلمين في مسألة عقائدية مهمة (رؤية الله) لها علاقة بأصل العقيدة وهو التوحيد، وعظمة الموضوعات المتعلقة بها، وتأكيد القرآن الكريم عليها بالنفي والتنزيه لله تعالى، كما ورد ذلك في الرواية التفسيرية الشريفة، وهذا يؤكّد وحدة منهج الثقلين في بيان أحكام الشريعة المقدسة أصولًا وفروعًا.

**- المورد الثاني:**

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[٢٦].

- روي عن داود بن القاسم الجعفري، قال: ((قُلْتُ لِأَبِيْ جَعْفَرٍ الثَّانِيْ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ! مَا (الصَّمَدُ)؟

قَالَ: السَّيِّدُ الْمَصْمُوْدُ إِلَيْهِ فِي الْقَلِيْلِ وَالْكَثِيْرِ))[٢٧].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّن مسألة مهمة تتعلق بالأصل الأول من أصول العقيدة وهو التوحيد وما فيه من مسائل جوهرية، ولأجل أنْ نكون على بينة مما ورد في الرواية وما تضمنته نحاول بيان موضوعين بإيجاز:

الأول: المراد من التوحيد وما يتعلق به.

الثاني: أقوال المفسرين في الآية المباركة.

**- الأول: التوحيد وما يتعلق به.**

يعد البحث في العقيدة من أهم البحوث العقائدية في الديانات كلها، والمذاهب الإسلامية أيضًا، والشريعة الإسلامية قد اعتنت بمباحث التوحيد كثيرًا، من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فضلًا عن المؤلفات الكلامية الكثيرة في هذا الباب منذ القرن الأول إلى يومنا على اختلاف المذاهب الإسلامية، فلا بد من البحث فيه من خلال بيان توحيد الذات، والصفات، والأفعال، العبودية؛ ليكون المؤمن على بينة تامة أو مجملة عن معبوده، ومعرفة ما يليق به من صفات ثبوتية جمالية، عمّا لا يليق به من صفات سلبية

جلالية، وقد أشار أمير المؤمنين إلى أهمية هذه المعرفة التي هي أساس الدين وآثارها على الإنسان، فقال عليه السلام في خطبة له: ((أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ....))[٢٨].

وفيما يتعلق بتعريف (الصمد) فقد ورد فيه تعريفات متعدد، منها:

١- **قال الراغب الأصفهاني:** ((الصَّمْدُ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْأَمْرِ، وَصَمَدَ صَمَدَهُ قَصَدَ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ قَصْدُهُ، وَقِيلَ: الصَّمَدُ الَّذِي لَيْسَ بِأَجْوَفَ، وَالَّذِي لَيْسَ بِأَجْوَفَ شَيْئَانِ: أَحَدُهُمَا لِكَوْنِهِ أَدْوَنَ مِنَ الْإِنْسَانِ كَالْجَمَادَاتِ، وَالثَّانِي أَعْلَى مِنْهُ وَهُوَ الْبَارِي وَالْمَلَائِكَةُ، وَالْقَصْدُ بِقَوْلِهِ: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ تَنْبِيهًا أَنَّهُ بِخِلَافِ مَنْ أَثْبَتُوا لَهُ الْإِلَهِيَّةَ))[٢٩].

إنَّ الراغب الأصفهاني قد ذكر الأقوال الواردة في معنى (الصمد)، وأشار في واحد منها إلى ما ورد في الرواية التفسيرية، وهو قوله (السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْأَمْرِ)، فالأمر يمكن أنْ ينطبق على القليل والكثير الوارد في الرواية، فمن ذلك يمكن معرفة أنَّ جواب الإمام الجواد عليه السلام كان موافقًا للمعاني الواردة عند العرب في بيان المراد من (الصمد).

٢- **قال الشيخ الطريحي:** ((قِيلَ: الصَّمَدُ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ السُّؤْدَدُ. وَقِيلَ: هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي. وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يُصْمَدُ فِي الْحَوَائِجِ أَيْ يُقْصَدُ. قَالَ بَعْضُ الْأَعْلَامِ: اخْتَلَفَ أَقَاوِيلُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي بَيَانِ الصَّمَدِ، وَأَوْلَى تِلْكَ بِالتَّقْدِيمِ مَا وَافَقَ أُصُولَ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَاشْتُهِرَ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ أَنَّ الصَّمَدَ السَّيِّدُ الْمُتَفَوِّقُ فِي السُّؤْدَدِ، الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي حَوَائِجِهِمْ وَأُمُورِهِمْ. وَفِي الْحَدِيثِ "الصَّمَدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ".... وَاللهُ هُوَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي جَمِيعُ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ يَصْمُدُونَ فِي الْحَوَائِجِ وَيَلْجَؤُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّدَائِدِ، وَمِنْهُ يَرْجُونَ الرَّخَاءَ وَدَوَامَ النِّعْمَةِ وَالرَّفْعَ عَنِ الشَّدَائِدِ. وَالصَّمَدُ: الْقَصْدُ، يُقَالُ صَمَدَهُ يَصْمُدُهُ صَمْدًا: قَصَدَهُ. وَمِنْهُ الدُّعَاءُ

"اللَّهُمَّ إِلَيْكَ صَمَدْتُ مِنْ بَلَدِي"))[٣٠].

إنَّ الشيخ الطريحي ذكر أغلب المعاني الواردة عند الأعلام في بيان المراد من (الصمد)، والتي يوافق بعضها الروايات الواردة في بيان ذلك، بل ذكر نص الرواية التفسيرية التي أشارت إلى المصمود إليه، وإجمالًا فهو يدل على معنًى من معاني الكمال الواردة في صفات الإله المعبود.

ومما قال الشيخ المازندراني في شرحه للرواية: ((وَأَشَارَ بِذِكْرِ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ إِلَى أَنَّ الْمُعْتَبَرَ فِي مَفْهُومِ الصَّمَدِ هُوَ كَوْنُهُ مَرْجُوعًا إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا قَلِيلِهَا وَكَثِيرِهَا، حَقِيرِهَا وَكَبِيرِهَا؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْأَحَقَّ بِهَذَا الاسْمِ هُوَ الْحَقُّ الْغَنِيُّ عَنِ الْغَيْرِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَأَنَّ إِطْلَاقَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى سَبِيلِ التَّجَوُّزِ وَالْإِضَافَةِ؛ إِذْ كُلُّ سَيِّدٍ سِوَاهُ فَهُوَ فِي رِبْقَةِ الْحَاجَةِ إِلَى الْغَيْرِ فَلَيْسَ مَصْمُودًا إِلَيْهِ فِي الْجَمِيعِ))[٣١].

وعلى أساس ما تقدم من التعريفين للمراد من لفظ (الصمد) نرى أنَّ التطابق بيان ما ذكر في الرواية التفسيرية للإمام محمد الجواد عليه السلام وما ورد من كلمات العلماء لبيان حقيقة هذا اللفظ العظيم الوارد في بيان واحدة من صفات الله تعالى الدالة على حقيقة المعبود، وما يجب أنْ تتوافر فيه من صفات خاصة لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين.

**- الثاني: أقوال المفسرين.**

إنَّ المفسرين قد ذكروا فيما يتعلق بالآية المباركة أقوال متعددة، نذكر منها:

**١- قال الشيخ الطوسي:** ((وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ معناهُ الذي تحقُّ لَهُ العبادةُ، هُوَ الموصوفُ بأنَّهُ (الصمد). وقيل: في معناهُ قولان: أحدهما: قالَ ابنُ عباسٍ وشقيقُ وأبو وائلٍ: إنَّهُ السيِّدُ المعظَّمُ.... الثاني: إنَّ معناهُ الذي يصمدُ إليهِ في الحوائجِ، ليسَ فوقَهُ أحدٌ، يقالُ: صمدتُ إليهِ أصمدُ إذا قصدتُ إليهِ، إلا أنَّ في الصفةِ معنى التعظيمِ كيفَ تصرفتِ الحالُ))[٣٢].

إنَّ الشيخ في بيانه للآية الكريمة يؤكد على أهم ما ورد من معانٍ لهذه الصفة التي يجب أنْ يكون المعبود عليها، وفي كُلِّ الأحوال والأقوال فإنَّ المعاني المتكثرة له توحي إلى مقامه وعظمته التي تليق به سبحانه.

٢- **قال الفخر الرازي:** ((فيهِ مسائلُ: المسألةُ الأولى: ذكروا في تفسيرِ ﴿الصَّمَدُ﴾ وجهينِ، الأول: إنَّهُ فعلٌ بمعنى مفعولٍ، من صمدَ إليهِ إذا قصدَهُ، وهو السيِّدُ المصمودُ إليهِ في الحوائجِ.... والدليلُ على صحةِ هذا التفسيرِ ما روى ٱبنُ عباسٍ: "إنَّهُ لَمَّا نزلتْ هذهِ الآيةُ قالوا: ما الصمدُ؟ قالعليه السلام: هو السيِّدُ الذي يصمدُ إليهِ في الحوائجِ" وقالَ الليثُ: صمدتُ صمدَ هذا الأمرُ، أي قصدتُ قصدَهُ. والقول الثاني: إنَّ الصمدَ هو الذي لا جوفَ له، ومنه يقالُ لسدادِ القارورةِ الصِّمَادُ، وشيءٌ مصمدٌ أي صلبٌ ليسَ فيهِ رخاوةٌ.... وٱعلمْ أنَّهُ قد ٱستدلَّ قومٌ من جُهَّالِ المشبِّهةِ بهذهِ الآيةِ في أنَّهُ تعالى جسمٌ، وهذا باطلٌ؛ لأنَّا بَيَّنَّا أنَّ كونَهُ أحدًا ينافي جسمًا، فمقدمةُ هذا الآيةِ دالةٌ على أنَّهُ لا يمكنُ أنْ يكونَ المرادُ منَ الصمدِ هذا المعنى؛ ولأنَّ الصمدَ بهذا التفسيرِ صفةُ الأجسامِ المتضاغطةِ، وتعالى اللهُ عن ذلكَ، فإذنْ يجبُ أنْ يحملَ ذلكَ على مجازهِ؛ وذلكَ لأنَّ الجسمَ الذي يكونُ كذلكَ يكونُ عديمَ الانفعالِ والتأثُّرِ عن الغيرِ، وذلكَ إشارةٌ إلى كونهِ سبحانَهُ واجبًا لذاتهِ، ممتنعَ التغيُّرِ في وجودهِ وبقائهِ وجميعِ صفاتهِ، فهذا ما يتعلقُ بالبحثِ اللغويِّ في هذهِ الآيةِ، وأمَّا المفسرونَ فقد نقلَ عنهم وجوهٌ، بعضُها يليقُ بالوجهِ الأولِ وهو كونَهُ تعالى سيِّدًا مرجوعًا إليهِ في دفعِ الحاجاتِ، وهو إشارةٌ إلى الصفاتِ الإضافيَّةِ، وبعضُها بالوجهِ الثاني وهو كونَهُ تعالى واجبَ الوجودِ في ذاتهِ وفي صفاتهِ[٣٣] ممتنعَ التغيُّرِ فيهما، وهو إشارةٌ إلى الصفاتِ السلبيَّةِ، وتارةً يفسرونَ الصمدَ بما يكون جامعًا للوجهينِ))[٣٤].

إنَّ الرازي يحاول التأكيد على أنَّ هذه الصفة للباري لها علاقة وثيقة بتنزيهه تعالى عن الجسمية وما يتعلق بها من صفات المخلوقين، ثم يستعرض -كما هو حاله في تفسيره- جميع أو أغلب الأقوال التي يمكن إيرادها في المسألة، مع مناقشتها تارة، ومجرد عرضها تارة أخرى، وإنْ كان قد ذكر مسألة عقائدية مهمة فيما يتعلق بالصفات الإضافية على ذاته على ما يؤمن به، والمسألة فيها نقاش عميق بين الأعلام، ورأي علماء الإمامية أنَّ صفاته عين ذاته لا زائدة عليه.

ثم بيَّن الرازي أهمية الآية الكريمة في الاستدلال على وحدانيته ونفي كُلِّ ما لا يليق به، بما يوافق الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام فقال: ((المسألة الثانية: قوله: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾

يقتضي أنْ لا يكونَ في الوجودِ صمدٌ سوى الله، وإذا كانَ الصمدُ مفسَّرًا بالمصمودِ إليه في الحوائج، أو بما لا يقبلُ التغيُّرَ في ذاته لزمَ أنْ لا يكونَ في الوجودِ موجودٌ هكذا سوى الله تعالى، فهذه الآيةُ تدلُّ على أنَّهُ لا إلهَ سوى الواحد، فقوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إشارةٌ إلى كونِه واحدًا، بمعنى أنَّهُ ليسَ في ذاتِه تركيبٌ، ولا تأليفٌ بوجهٍ من الوجوه، وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ إشارةٌ إلى كونِه واحدًا، بمعنى نفيِ الشركاءِ والأندادِ والأضداد))[٣٥].

٣- **قال السيد الطباطبائي:** ((الأصلُ في معنى الصمدِ القصدُ، أو القصدُ مع الاعتماد، يقال: صمدَهُ يصمدُهُ صمداً من بابِ نَصَرَ، أي قصدَهُ، أو قصدَهُ معتمداً عليه، وقد فَسَّروا الصمدَ - وهو صفة - بمعاني متعددة، مرجعُ أكثرِها إلى أنَّهُ السيِّدُ المصمودُ إليه، أي المقصودُ في الحوائج، وإذا أطلقَ في الآيةِ ولم يقيَّدْ بقيدٍ فهوَ المقصودُ في الحوائجِ على الإطلاق.

وإذا كانَ اللهُ تعالى هو الموجدُ لكُلِّ ذي وجود، مما سواهُ يحتاجُ إليه فيقصدُهُ كُلُّ ما صدقَ عليه أنَّهُ شيءٌ غيرُهُ، في ذاته، وصفاته، وآثاره، قالَ تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[٣٦]، وقال وأطلق: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾[٣٧] فهو الصمدُ في كُلِّ حاجةٍ في الوجود، لا يقصدُ شيئًا إلا وهو الذي ينتهي إليه قصدُهُ، وينجحُ به طلبتُهُ، ويقضي به حاجتُهُ.

ومن هنا يظهرُ وجهَ دخولِ اللامِ في الصمد، وأنَّهُ لإفادةِ الحصرِ، فهو تعالى وحدهُ الصمدُ على الإطلاق، وهذا بخلافِ أحدٍ في قوله ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإنَّ أحداً بما يفيدُهُ من معنى الوحدةِ الخاصة لا يطلقُ في الإثباتِ على غيرِه تعالى، فلا حاجةَ فيه إلى عهدٍ أو حصرٍ.... والآيتانِ مع ذلكَ تصفانهُ تعالى بصفةِ الذاتِ وصفةِ الفعلِ جميعًا، فقوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يصفهُ بالأحديَّةِ التي هي عينُ الذات، وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ يصفهُ بانتهاءِ كُلِّ شيءٍ إليه، وهو من صفاتِ الفعل))[٣٨].

إنَّ السيد الطباطبائي في بيانه لهذه الصفة يذكر ما ورد من كلمات العلماء اللغويين في معنى (الصمد)، للإفادة من ذلك في معرفة المراد من هذا المصطلح، ومدى موافقته مع الروايات الواردة في بيان معانيه، وكان أكثر المعاني ملاءمة هو ما ورد في الرواية التفسيرية، فقد ذكر بعد تفسير السورة المباركة ما ورد من روايات متعددة وردت عن الأئمة عليهم السلام في

تفسير (الصمد) ورواية الإمام الجواد عليه السلام المتقدمة فقال: ((أقولُ: وفي تفسيرِ الصمدِ معانٍ أُخَر مرويةٌ عنهم عليهم السلام..... والأصلُ في معنى الصمدِ هو الذي رويناهُ عن أبي جعفرٍ الثاني عليه السلام؛ لِمَا في مادته لغةً في معنى القصد، فالمعاني المختلفةُ المنقولةُ عنهم عليهم السلام من التفسيرِ يلازمُ المعنى، فإنَّ المعاني المذكورةَ لوازمٌ كونَهُ تعالى مقصوداً، يرجعُ إليهِ كُلُّ شيءٍ في كُلِّ حاجةٍ، فإليهِ ينتهي الكُلُّ من دونِ أنْ تتحققَ فيهِ حاجةٌ))[٣٩].

من خلال ما تقدم تكون الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام واضحة البيان والبرهان على بيان المراد من تفسير (الصمد)، وعلاقة ذلك بإثبات وحدانية الله تعالى، وإنَّ كُلَّ ما ورد من أقوال المفسرين يؤكد ذلك.

**- المورد الثالث:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٤٠].

- روي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ [٤١] قَالَ: ((سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﴿الإمام الجواد﴾ عليه السلام عَنْ قَوْلِ الله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ قَالَ عليه السلام: إِمَّا آخِذٌ فَشَاكِرٌ، وَإِمَّا تَارِكٌ فَكَافِرٌ))[٤٢].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّن مسألة من المسائل المهمة المتعلقة بتكريم الله تعالى لعباده بصورة عامة، وبيان المنهج المتبع للتكامل الإنساني، من خلال انقياد الإنسان لتعاليم الشريعة المقدسة التي تهدف إلى سعادته في الدنيا والآخرة، بطاعته تعالى، فضلًا عن بيان الرواية التفسيرية في التأكيد على مسألة الاختيار من العبد ونفي الجبر الذي يراه بعض، ونحاول من خلال الآية المباركة والرواية الشريفة بيان موضوعين بإيجاز، يتناول الأول مصطلح الهداية وما يتعلق به، والآخر أقوال المفسرين في الآية المباركة.

**- الأول: المراد من الهداية.**

لقد ورد لمصطلح الهداية معانٍ متعددة ذكرها الأعلام في مؤلفاتهم نذكر منها بإيجاز ما يأتي:

**١- قال الراغب الأصفهاني:** ((وَهِدَايَةُ الله تَعَالى لِلْإِنْسَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

**الأول:** الْهِدَايَةُ الَّتِي عَمَّ بِجِنْسِهَا كُلَّ مُكَلَّف مِنَ الْعَقْلِ وَالْفِطْنَة، وَالْمَعَارِف الضَّرُورِيَّة الَّتِي أَعَمُّ مِنْهَا، كُلُّ شَيْءٍ بِقَدرٍ فِيهِ حَسْبَ اَحْتِمَالِه، كَمَا قَالَ: ﴿رَبُّنَا الَّذِيْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(٤٣).

**الثاني:** الْهِدَايَةُ الَّتِي جَعَلَ لِلنَّاسِ بِدُعَائِه إِيَّاهُمْ عَلَى أَلْسِنَة الْأَنْبِيَاء وَإِنْزَال الْقُرآن وَنَحْو ذَلِك، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٤٤).

**الثالث:** التَّوْفِيْقُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ مَنِ اَهْتَدَى، وَهُوَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾(٤٥)، وَقَوْلِه: ﴿وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٤٦).

**الرابع:** الْهِدَايَةُ فِي الْآخِرَة إِلَى الْجَنَّة، الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِه: ﴿سَيَهْدِيْهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾(٤٧).

وَهَذِه الْهِدَايَاتُ الْأَرْبَعُ مُتَرَتِّبَةٌ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ الْأُولَى لَا تَحْصُلُ لَهُ الثَّانِيَةُ، بَلْ لَا يَصِحُّ تَكْلِيْفُهُ، وَمَنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ الثَّانِيَةُ لَا تَحْصُلُ لَهُ الثَّالِثَةُ وَالرَّابِعَةُ))(٤٨).

٢- **قال الشيخ الطريحي:** ((وَالْهُدَى الرَّشَادُ وَالدَّلَالَةُ وَالْبَيَانُ، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ. وَالْهُدَى هُدَيَانِ: هُدَى دِلَالَة، فَالْخَلْقُ بِه مَهْدِيُّوْنَ، وَهُوَ الَّذِي تَقْدِرُ عَلَيْه الرُّسُلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤٩) فَأَثْبَتَ لَهُ الْهُدَى الَّذِي مَعْنَاهُ الدِّلَالَةُ وَالدَّعْوَةُ وَالْبَيِّنَةُ. وَتَفَرَّدَ هُوَ تَعَالَى بِالْهُدَى الَّذِي مَعْنَاهُ التَّوْفِيْقُ وَالتَّأْيِيدُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَ﴾(٥٠))(٥١).

فالهداية ظاهرة في أنَّ المقصود منها البيان والإرشاد لما فيه الصلاح والكمال والرشاد، إلا إذا اُستعملت لغير ذلك مجازًا لا حقيقة كما في قوله تعالى: ﴿اُحْشُرُوْا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ * مِنْ دُوْنِ اللهِ فَاهْدُوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيْمِ﴾(٥٢)، فاستعمل لفظ (الهداية) مع الجحيم للتهكُّم(٥٣) بهم، وقد اُستعمل لفظ الهداية في القرآن الكريم على أوجه متعددة غير المعنى الاصطلاحي(٥٤).

**- الثاني: أقوال المفسرين.**

ذكر المفسرون آراء متعددة في بيان المراد من الآية المباركة، ونختصر في هذه السطور على مفسرَيْنِ منهم في بيان ذلك:

**١- قال الشيخ الطوسي:** ((الْمَعْنَى إِمَّا يَخْتَارُ يُحْسِنُ اخْتِيَارَهُ الشُّكْرَ لله تَعَالَى وَالْاعْتِرَافَ بِنِعَمِهِ فَيُصِيبُ الْحَقَّ، وَإِمَّا أَنْ يَكْفُرَ نِعَمَهُ وَيَجْحَدَ إِحْسَانَهُ فَيَكُونَ ضَالًّا عَنِ الصَّوَابِ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ مُخَيِّرٌ فِيْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا خَرَجَ ذَلِكَ مَخْرَجَ التَّهْدِيْدِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٥٥].... وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْبَيَانَ عَنْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِمَا فَأَيَّهُمَا اخْتَارَ جُوْزِيَ بِحَسَبِهِ))[٥٦].

إنَّ الشيخ الطوسي قد جعل الهداية في الآية المباركة على سبيل البيان وليس الاختيار، يعنى أنَّ الله تعالى أراد أنْ يبين للإنسان أنَّه قد عرَّفه أنَّ هذا السبيل إما نتيجته الشكر أو الكفر، وفيه تهديد غير ظاهر له، وليس المراد أنَّه أراد الله تعالى من الإنسان أنْ يختار أحد هذين الطريقين وهذا ما أشار إليه بقوله (وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ مُخَيِّرٌ فِيْ ذَلِكَ)، ولكن في الحقيقة إنَّ ما ذهب إليه شيخنا الطوسي قدس سره قد يكون فيه تكلُّف، وإلا فلا بأس بأنَّ الله تعالى أراد البيان والإنسان في الوقت نفسه عند معرفته ذلك البيان فهو مخيَّر بين هذين الطريقين، مع تهديده تعالى للمخالفين، فالإنسان في الواقع يحتاج إلى مَنْ يهديه السبيل الأكمل لمسيرته الابتلائية في الدنيا؛ ليتعرَّف عليها من جهة، ويختار أيهما أفضل له من جهة أخرى، فيحدد منهجه على وفق ذلك التخيير النفسي، وإلا فإنَّ الله تعالى لا يريد أنْ يعرِّف الإنسان نتيجة هذين الطريقين فقط، بل يريد منه أنْ يختار طريق الصلاح والفلاح والشكر، والابتعاد عن الطريق المقابل لذلك، وإنَّ في ختام كلامه قدس سره (وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْبَيَانَ عَنْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِمَا فَأَيَّهُمَا اخْتَارَ جُوْزِيَ بِحَسَبِهِ) ففي هذا إشارة إلى أنَّ الإنسان هو الذي يختار أحدهما، وليس الله تعالى يختار له؛ خوف الوقوع في مشكلة الجبر كما سيأتي.

ثم يعرِّج الشيخ الطوسي على ما يمكن أنْ تستند إليه بعض الفرق الباطلة من خلال القول بأنَّ الآية المباركة فيها إشارة إلى الجبر الإلهي، فيقول: (وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ هَدَى جَمِيْعَ خَلْقِهِ الْمُكَلَّفِيْنَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ عَامٌّ فِيْ جُمْلَتِهِمْ، وَذَلِكَ يُبْطِلُ

قَوْلُ الْمُجَبِّرَةِ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَهْدِ الْكَافِرَ بِنَصْبِ الدِّلَالَةِ لَهُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَاجْتِنَابِ الْبَاطِلِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ تَرَكَ الشُّكْرَ كَانَ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُتْرَكُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ عَلَى سَبِيلِ التَّطَوُّعِ؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ قَدْ يَكُونُ تَطَوُّعًا، كَمَا يَكُونُ وَاجِبًا، وَإِنَّمَا لَمْ يَذْكُرِ اللهُ الْفَاسِقَ؛ لِأَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى أَعْظَمِ الْحَالَيْنِ، وَأَلْحَقَ الْأَدْوَنَ عَلَى التَّبَعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُدْخِلَ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَا يُفْرِدَ، فَلَيْسَ لِلْخَوَارِجِ أَنْ يَتَعَلَّقُوا بِذَلِكَ فِي أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَاسِطَةٌ))[٥٧].

وإنَّ في كلام المجبرة (لَيْسَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ وَاسِطَةٌ) استناداً إلى هذه الآية مغالطة وغير صحيح؛ حيث إنَّ الله تعالى ذكر في آية أخرى ذم وعقوبة غير الكافر مع أنَّه في الوقت نفسه غير مؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[٥٨] وغيرها من الآيات، وليس لهم أنْ يتمسكوا بآية واحدة من دون استعراض الآيات الأخرى، فلعلها من المتشابهات التي تحتاج ما يرفع عنها ذلك؛ فتكون من المحكمات، كما في التقسيم الثنائي لآيات القرآن (محكمات ومتشابهات).

٢- **قال الفخر الرازي:** ((﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ رَكَّبَهُ وَأَعْطَاهُ الْحَوَاسَّ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، بَيَّنَ لَهُ سَبِيلَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ.... الْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ إِعْطَاءَ الْحَوَاسِّ كَالْمُقَدَّمِ عَلَى إِعْطَاءِ الْعَقْلِ، وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ فِي مَبْدَأِ الْفِطْرَةِ خَالِيًا عَنْ مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ، إِلَّا أَنَّهُ أُعْطِيَ آلَاتٍ تُعِينُهُ عَلَى تَحْصِيلِ تِلْكَ الْمَعَارِفِ، وَهِيَ الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ، فَإِذَا أَحَسَّ بِالْمَحْسُوسَاتِ تَنَبَّهَ لِمُشَارَكَاتِ بَيْنَهَا وَمُبَايَنَاتٍ، يَنْتَزِعُ مِنْهَا عَقَائِدَ صَادِقَةً أَوَّلِيَّةً، كَعِلْمِنَا بِأَنَّ النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ، وَأَنَّ الْكُلَّ أَعْظَمُ مِنَ الْجُزْءِ، وَهَذِهِ الْعُلُومُ الْأَوَّلِيَّةُ هِيَ آلَةُ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ بِتَرْكِيبَاتِهَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ إِلَى اسْتِعْلَامِ الْمَجْهُولَاتِ النَّظَرِيَّةِ، فَثَبَتَ أَنَّ الْحِسَّ مُقَدَّمٌ فِي الْوُجُودِ عَلَى الْعَقْلِ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ فَقَدَ حِسًّا فَقَدَ عِلْمًا....))[٥٩].

إنَّ كلام الرازي في هذه المسألة المتعلقة بهداية الإنسان العاقل وأثر الحواس فيها، فيه من الالتفات اللطيف إلى أصل أو بداية عملية التعلم والإدراك، وأثر كُلٍّ منهما -العقل والحواس- بالآخر، فالحواس لها الأولوية في فهم ومعرفة أثر الأشياء، حتى يمكن للعقل بعد ذلك أنْ يدرك بعض الحقائق من غير الاستعانة بالحس، أو إدراك ما لا يمكن للحواس أنْ

تدركه، فجميع تلك الحواس تدلُّ الإنسان على آثار عظمة الله تعالى، وما في ذلك من إشارة مهمة للعقل في آختيار الطريق الأمثل لطاعة الله، والامتثال لتعاليم الشريعة المقدسة.

ثم ينتقل الفخر الرازي في المسألة الثانية إلى بيان سبيل الهداية الإلهية للإنسان فيقول: ((السَّبِيلُ هُوَ الَّذِي يُسْلَكُ مِنَ الطَّرِيقِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسَّبِيلِ هَا هُنَا سَبِيلُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالنَّجَاةِ وَالْهَلَاكِ، وَيَكُونُ مَعْنَى ﴿هَدَيْنَاهُ﴾، أَيْ عَرَّفْنَاهُ وَبَيَّنَّا كَيْفِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٦٠]، يَكُونُ السَّبِيلُ آسْمًا لِلْجِنْسِ، فَلِهَذَا أَفْرَدَ لَفْظَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٦١]، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسَّبِيلِ هُوَ سَبِيلُ الْهُدَى؛ لِأَنَّهَا هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَعْرُوفَةُ الْمُسْتَحِقَّةُ لِهَذَا الْاسْمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَأَمَّا سَبِيلُ الضَّلَالَةِ فَإِنَّمَا هِيَ سَبِيلٌ بِالْإِضَافَةِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[٦٢] وَإِنَّمَا أَضَلُّوهُمْ سَبِيلَ الْهُدَى، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا جَعَلَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿هَدَيْنَاهُ﴾ وَإِذَا أَرْشَدَ لِسَبِيلِ الْحَقِّ، فَقَدْ نَبَّهَ عَلَى تَجَنُّبِ مَا سِوَاهَا، كَانَ اللَّفْظُ دَلِيلًا عَلَى الطَّرِيقَيْنِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ))[٦٣].

وفي هذه المسألة الثانية أراه يذهب إلى ما ذكره الشيخ الطوسي في أنَّ الهداية هي البيان للسبيل، وليس تخيير الله تعالى لعبده بين الطريقين من خلال بيانه لغايتهما، وإنْ كان ذلك ممكنًا كما تقدم.

هذا ما أردت بيانه لكلام المفسرين القدامى بإيجاز حول الآية المباركة، وما يمكن أنْ يفهم من مدلولاتها، وقد أكَّده وفصَّل في بيانه بعض المفسرين المُحدثين.

**٣- قال السيد الطباطبائي:** ((الْهِدَايَةُ بِمَعْنَى إِرَاءَةِ الطَّرِيقِ دُونَ الْإِيصَالِ إِلَى الْمَطْلُوبِ))[٦٤].

وهو كلام دقيق في بيان الهداية في الآية المباركة كما تقدم، حيث الإراءة للطريق تخالف الإيصال للطريق الذي يؤدي إلى الجبر الذي لا يمكن أنْ يطلق على الله تعالى، ثم آستعرض ما يتعلق بالآية في الرد على القائلين بأنها توحي إلى الجبر فقال: ((وَثَانِيًا: إِنَّ السَّبِيلَ الْمَهْدِيَّ إِلَيْهِ سَبِيلٌ آخْتِيَارِيٌّ، وَإِنَّ الشُّكْرَ وَالْكُفْرَ اللَّذَيْنِ يَتَرَتَّبَانِ عَلَى الْهِدَايَةِ الْمَذْكُورَةِ وَاقِعَانِ فِي مُسْتَقَرِّ الاخْتِيَارِ لِلْإِنْسَانِ، أَنْ يَتَلَبَّسَ بِأَيِّهِمَا شَاءَ، مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ وَإِجْبَارٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ

السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[٦٥]))[٦٦]، وكان له كلام دقيق في بيان نوعين من الهداية الإلهية، وهما الهداية الفطرية والهداية القولية، حيث تعلق الأولى بفطرة الله تعالى لخلقه عامة، والثانية تتعلق بآثار الدعوة الإلهية.

مما تقدم في بيان الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام: (إِمَّا آخِذٌ فَشَاكِرٌ، وَإِمَّا تَارِكٌ فَكَافِرٌ)، نرى إشارة واضحة إلى أنَّ الآخذ هو المتمسك بتعاليم الله تعالى من خلال الهداية الفطرية والقولية الداعية إلى الاعتراف بوجود خالق عظيم لهذا الكون وما فيه، توجب الإذعان إليه والأخذ بتعاليمه التي أوجبها من خلال تشريعاته المقدسة، أو متمرِّد على تلك الهدايتين كافر بما يتعلق بهما كذلك، وفي كُلٍّ هذا إنَّ حديثه عليه السلام في بيان المراد من الآية المباركة هو إشارة إلى اختيار الإنسان الطريق الذي يريد أنْ يسلكه بعد بيان الله تعالى لهما بكُلِّ وضوح، وأوجب عليه الطاعة والإيمان والابتعاد عن المعصية والكفر، ولكن كُلَّ ذلك ليس بمفهوم الجبر والإكراه، بل الاختيار لنوع الطريق الذي يريد سلوكه بإرادته، كما هو المنهج القرآني الصريح بذلك، وإنَّ كُلَّ ما ورد من أقوال المفسرين يؤكد ذلك.

**- المورد الرابع:**

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[٦٧].

- **روي عن علي بن مهزيار[٦٨]، قال:** ((كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْحُصَيْنِ [٦٩] إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدِ اخْتَلَفَتْ مَوَالُوكَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُصَلِّي إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ الْأَوَّلُ الْمُسْتَطِيلُ فِي السَّمَاءِ.... فَكَتَبَ: فَالْخَيْطُ الْأَبْيَضُ هُوَ الْمُعْتَرِضُ الَّذِي يَحْرُمُ بِهِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ فِي الصَّوْمِ، وَكَذَلِكَ هُوَ الَّذِي تُوجِبُ بِهِ الصَّلَاةُ))[٧٠].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيِّن مسألة مهمة تتعلق بوقت طلوع الفجر، وعلاقة هذا الوقت ببداية وقت الصوم الشرعي وأداء صلاة الفجر، ولأجل أنْ نكون على بينة مما ورد في الرواية الشريفة وما تضمنته نحاول بيان موضوعين بإيجاز:

الأول: المراد من الخيط الأبيض والأسود والأحكام المتعلقة بهما.

الثاني: أقوال المفسرين في الآية.

**- الأول: الخيط الأبيض والأسود.**

إنَّ المراد من الخيط الأبيض هو طلوع الفجر الصادق، والخيط الأسود هو الليل، وهذا ما تم ذكره في بيان المراد من هذين التعبيرين في القرآن الكريم، حيث تحديد وَقْتَي الفجر والليل، ونذكر بعض ما ورد فيه:

**١- قال الراغب الأصفهاني:** ((الْخَيْطُ مَعْرُوْفٌ، وَجَمْعُهُ خُيُوْطٌ.... قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أَيْ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ))[٧١].

إنَّ الراغب الأصفهاني قد استعرض المعنى العام الذي أشارت إليه الرواية التفسيرية الواردة لهذه الآية المباركة، فضلاً عما ذكره المفسرون لذلك، من حيث التمييز بين الليل والنهار، حيث ابتداء الصوم مع طلوع الفجر المعبَّر عنه بالخيط الأبيض.

**٢- قال الشيخ الطريحي:** ((الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ بَيَاضُ النَّهَارِ، وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَقِيْلَ: الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ الْفَجْرُ الْمُسْتَطِيْلُ، وَالْأَبْيَضُ الْفَجْرُ الْمُعْتَرِضُ))[٧٢].

إنَّ الشيخ الطريحي قد ذكر ما ذكره الأعلام من قبل في بيان ما يتعلق بهذين الخيطين الواردين في القرآن الكريم، ولكنه أضاف معنى آخر يمكن من خلاله معرفة أنَّ المراد بهذين الخيطين هو الفجر الكاذب، والفجر الصادق، فيمثل الأول الخيط الأسود، والثاني الخيط الأبيض.

وعلى أساس ما تقدم من التعريفين كان هو المستفاد في بيان الأحكام المختصة بالعبادات المؤقتة في هذا الوقت، والتي منها بداية صلاة الفجر، وبداية الوقت الشرعي للصوم، وهذا ما ذكره العلماء في مؤلفاتهم الخاصة بآيات الأحكام، قال الشيخ قطب الدين الراوندي في بيان تحديد وقت الصوم: ((وَقِيْلَ خَيْطُ الْفَجْرِ الثَّانِيْ مِمَّا كَانَ فِيْ مَوْضِعِهِ مِنَ الظَّلَامِ، وَقِيْلَ النَّهَارُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَوَّلُ النَّهَارِ طُلُوْعُ الْفَجْرِ الثَّانِيْ؛ لِأَنَّهُ أَوْسَعُ ضِيَاءً))[٧٣]، وقال بعد بيانه ما يتعلق ببداية الفجر: ((وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ يَحْتَمِلُ مِنْ مَعْنَيَيْنِ:

التَّبْعِيْض؛ لأنَّ الْمَعْنَى بَعْضُ الْفَجْرِ وَلَيْسَ الْفَجْرُ، أَوْ التَّبْيِيْنُ؛ أَيْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ الَّذِيْ هُوَ الْفَجْرُ))[٧٤].

وقال الشيخ المقداد السيوري في بيان الأحكام المتعلقة بالآية من حيث الصوم: ((الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ هُوَ الْفَجْرُ الثَّانِي الْمُعْتَرِضُ فِي الْأُفُقِ كَالْخَيْطِ الْمَمْدُوْدِ، وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ مِمَّا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنَ الْغَبَشِ تَشْبِيْهًا بِخَطَّيْنِ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ، وَلَيْسَا بِمُسْتَعَارَيْنِ لِقَوْلِهِ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾؛ لِأَنَّ مِنْ شَرْطِ الاسْتِعَارَةِ أَنْ يَجْعَلَ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ نَسْيًا مَنْسِيًّا))[٧٥].

**- الثاني: أقوال المفسرين.**

إنَّ المفسرين قد ذكروا فيما يتعلق بالآية المباركة أقوال متعددة، نذكر منها:

**١- قال الفخر الرازي بعد بيانه بما يتعلق بمعنى الخيط الأبيض والأسود:** ((وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَجْرَ إِنَّمَا يُسَمَّى فَجْرًا لِأَنَّهُ يَنْفَجِرُ مِنْهُ النُّوْرُ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي الصُّبْحِ الثَّانِي لَا فِي الصُّبْحِ الْأَوَّلِ، فَلَمَّا دَلَّتْ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ مِنَ الْفَجْرِ، عَلِمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ الصُّبْحَ الْكَاذِبَ، بَلِ الصُّبْحَ الصَّادِقَ، فَإِنْ قِيْلَ: فَكَيْفَ يُشَبِّهُ الصُّبْحَ الصَّادِقَ بِالْخَيْطِ، مَعَ أَنَّ الصُّبْحَ الصَّادِقَ لَيْسَ بِمُسْتَطِيْلٍ وَالْخَيْطُ مُسْتَطِيْلٌ.

وَجَوَابُهُ: إِنَّ الْقَدْرَ مِنَ الْبَيَاضِ الَّذِيْ يُحَرَّمُ هُوَ أَوَّلُ الصُّبْحِ الصَّادِقِ، وَأَوَّلُ الصُّبْحِ الصَّادِقِ لَا يَكُوْنُ مُنْتَشِرًا، بَلْ يَكُوْنُ صَغِيْرًا دَقِيْقًا، بَلِ الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصُّبْحِ الْكَاذِبِ أَنَّ الصُّبْحَ الْكَاذِبَ يَطْلُعُ دَقِيْقًا، وَالصَّادِقُ يَبْدُوْ دَقِيْقًا، وَيَرْتَفِعُ مُسْتَطِيْلاً، فَزَالَ السُّؤَالُ))[٧٦].

إنَّ تفسير الآية الشريفة ظاهر في بيان الفرق بين الصُّبْحَين الكاذب والصادق وصورة كُلٍّ منهما في الأفق، وأهمية التمييز بينهما لمعرفة البداية الحقيقية للشروع بالصوم والكف عن المفطرات.

**٢- قال السيد الطباطبائي:** ((الْفَجْرُ فَجْرَانِ، فَجْرٌ أَوَّلٌ يُسَمَّى بِالْكَاذِبِ؛ لِبُطْلَانِهِ بَعْدَ مَكْثٍ قَلِيْلٍ، وَبِذَنَبِ السَّرْحَانِ؛ لِمُشَابَهَتِهِ ذَنَبَ الذِّئْبِ إِذَا شَالَهُ، وَعَمُوْدٌ شُعَاعِيٌّ يَظْهَرُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةِ الْأُفُقِ الشَّرْقِيِّ إِذَا بَلَغَتْ فَاصِلَةُ الشَّمْسِ مِنْ دَائِرَةِ الْأُفُقِ إِلَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ دَرَجَةٍ تَحْتَ الْأُفُقِ، ثُمَّ يَبْطُلُ بِالاعْتِرَاضِ فَيَكُوْنُ مُعْتَرِضًا

مُسْتَطِيْلاً عَلَى الْأُفُقِ، كَالْخَيْطِ الْأَبْيَضِ الْمَمْدُوْدِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْفَجْرُ الثَّانِيْ، وَيُسَمَّى الْفَجْرُ الصَّادِقُ؛ لصدقه فيما يحكيه، ويُخبر به من قُدُوْمِ النَّهارِ وَاتِّصاله بِطُلُوْعِ الشَّمْسِ، وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْخَيْطِ الْأَبْيَضِ هُوَ الْفَجْرُ الصَّادِقُ... وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ التَّحْدِيْدُ بِأَوَّلِ حِيْنٍ مِنْ طُلُوْعِ الْفَجْرِ الصَّادِقِ فَإِنَّ ارْتِفَاعَ شُعَاعِ بَيَاضِ النَّهَارِ يُبْطِلُ الْخَيْطَيْنِ، فَلَا خَيْطَ أَبْيَضَ، وَلَا خَيْطَ أَسْوَدَ))[٧٧].

من خلال ما تقدم تكون الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام، واضحة البيان والبرهان على تحديد الوقت الأول للشروع في الصوم، والإمساك عن المفطرات التي حددتها الشريعة المقدسة، وكذلك الأمر في بيان أول وقت صلاة الفجر، وفي ذلك ظهور الاتفاق التام في منهج الثقلين في بيان تعاليم وأحكام الشريعة.

**- المورد الخامس:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٧٨].

- روى السيد عبد العظيم الحسني[٧٩] عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام في حديث طويل: ((قَالَ: قُلْتُ يَا ابْنَ رَسُوْلِ الله فَمَا مَعْنَى قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؟

قَالَ: الْعَادِيْ السَّارِقُ. وَالْبَاغِيْ الَّذِيْ يَبْغِيْ الصَّيْدَ بَطَرًا أَوْ لَهْوًا لَا لِيَعُوْدَ بِهِ عَلَى عِيَالِه، لَيْسَ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا الْمَيْتَةَ إِذَا اضْطُرَّا، هِيَ حَرَامٌ عَلَيْهِمَا فِيْ حَالِ الاضْطِرَارِ، كَمَا هِيَ حَرَامٌ عَلَيْهِمَا فِيْ حَالِ الاخْتِيَارِ....))[٨٠].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين مسألة من المسائل التي استعرضتها الشريعة الإسلامية المقدسة، وبينت أحكامها وحدودها وآثارها، فالآية المباركة في مقام بيان بعض المحرمات التي حرَّم الله تعالى على عباده أكلها، فذكرت أربعة منها (١- الميتة. ٢- الدم. ٣- لحم الخنزير. ٤- ما أُهل لغير الله)، وهذه المحرمات قد استثنيت عند الاضطرار إليها، ولكن بشرط أنْ يكون الاضطرار من دون عدوان أو بغي، ولأجل أنْ نكون على بينة مما ورد في الرواية الشريفة وما تضمنته من أحكام نحاول بيان موضوعات ثلاثة:

الأول: تعريف الباغي والعادي.

الثاني: أقوال المفسرين.

الثالث: آيات الأحكام.

**- الأول: تعريف الباغي والعادي.**

**١- قال الراغب الأصفهاني في بيان الباغي:** ((الْبَغْيُ طَلَبُ تَجاوُزِ الاقْتِصَادِ فِيمَا يَتَحَرَّى تَجَاوُزَهُ، أَوْ لَمْ يَتَجَاوَزْهُ، والْبَغْيُ عَلَى حزْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَحْمُودٌ، وَهُوَ تَجَاوُزُ الْعَدْلِ إلى الإِحْسَانِ، وَالْفَرْضِ إلى التَّطَوُّعِ. وَالثَّانِي: مَذْمُومٌ، وَهُوَ تَجَاوُزُ الْحَقِّ إلى الْبَاطِلِ، أَوْ تَجَاوُزُهُ إلى الشُّبَهِ.... فَالْبَغْيُ فِي أَكْثَرِ الْمَوَاضِعِ مَذْمُومٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أَيْ غَيْرُ طَالِبٍ مَا لَيْسَ لَهُ طَلَبُهُ، وَلَا مُتَجَاوِزٌ لِمَا رُسِمَ لَهُ))[٨١].

وقال في بيان العادي: ((مِنَ الاعْتِدَاءِ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَمِنْهُ التَّجَاوُزُ وَمُنَافَاةُ الالْتِئَامِ.... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ وَلَا عَادٍ أَيْ مُتَجَاوِزٌ سَدَّ الْجَوْعَةِ. وَقِيلَ: وَلَا عَادٍ فِي الْمَعْصِيَةِ))[٨٢].

**٢- قال الشيخ فخر الدين الطريحي:** مثل ما تقدم من انصراف البغي إلى التجاوز على الحدود والحقوق، وكذلك العادي وقد ذكر لذلك مصاديق متعددة تنطبق على البغي كما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة[٨٣].

**- الثاني: أقوال المفسرين.**

ذكر المفسرون ما يتعلق بهذه الآية الشريفة وتفصيل ذلك، فنذكر منها إجمالًا:

**١- قال الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م) فيما يتعلق بمفهوم الاضطرار:** ((يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾، فَمَنْ حَلَّتْ به ضَرورةُ مجاعةٍ إلى ما حُرِّمَتْ عليكُمْ من الميتةِ والدمِ ولحمِ الخنزيرِ وما أُهِلَّ به لغيرِ الله - وهو بالصفة التي وصفنا - فلا إثمَ عليه في أكلِه إنْ أكلَهُ. وقد قيل: إنَّ معنى قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾، فمَنْ أُكرهَ على أكلِه فأكلَهُ، فلا إثمَ عليه))[٨٤].

إنَّ ما ذكره الطبري من تفسير هو المعنى المعهود للاضطرار إلى شيء، فالحكم الشرعي يبيح للمضطر ما لا يبيح لغيره على مقدار الضرورة من دون زيادة، لتلافي الهلاك الذي قد يصيب الإنسان، وفي ذلك حفظ من المشرِّع للناس من ضرر الهلاك، فالاضطرار كما تم تعريفه هو: ((الحالةُ التي يكونُ فيها مَنْ نزلتْ به ضرورةٌ، أو الشدَّةُ التي لا دافعَ لها إلا ما اُضطرَّ إليه، أو حالَةٌ ناتجَةٌ عن نزولِ أمرٍ يتسبَّبُ عنه تلفُ النفسِ، أو أحدِ الأعضاء، أو نزولُ مكروهٍ لا يمكنُ اُحتمالُهُ، أو يشقُّ اُحتمالُهُ مشقَّةً شديدَةً))[٨٥]، وقد ورد في ذلك الضرورات تبيح المحظورات على تفصيل في مورده.

ثم ذكر الطبري تفاسير ثلاثة لبيان قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ اعتماداً على الروايات الواردة فيها، نذكر ذلك لأهميته إيجازاً، حيث قال في بيان القول الأول: ((وأما قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فإنَّ أهلَ التأويلِ في تأويلِه مختلفونَ، فقالَ بعضهم: يعني بقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ غيرَ خارجٍ على الأئمةِ بسيفِه باغيًا عليهمْ بغيرِ جَوْرٍ، ولا عاديًا عليهمْ بحربٍ وعدوانٍ، فمفسدٌ عليهمُ السبيلَ. عن مجاهد يقول: لا قاطعًا للسبيلِ، ولا مفارقًا للأئمةِ، ولا خارجًا في معصيةِ الله، فلهُ الرخصةُ، ومَنْ خرجَ باغيًا أو عاديًا في معصيةِ الله فلا رخصةَ له وإنِ اُضطُرَّ إليه))[٨٦].

إنَّ هذا القول ظاهر الدلالة في انطباقه على بعض المصاديق التي وردت فيه الروايات المتقدمة، وإنْ كان المعنى أعم من مصاديقه، وعدم شمول الرخصة للباغي والعادي كما أشارت إليه رواية الإمام الجواد عليه السلام.

وقال في بيان القول الثاني: ((قال آخرون في تأويل قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ غيرَ باغٍ الحرامَ في أكله، ولا معتدٍ الذي أبيحَ له منه. عن قتادة قال: غيرَ باغٍ في أكله، ولا عاد: أنْ يتعدَّى حلالًا إلى حرامٍ، وهو يجدُ عنه مَندوحَةً. قال ابن زيد: أنْ يأكلَ ذلكَ بغيًا وتعديًا عن الحلالِ إلى الحرامِ، ويتركَ الحلالَ وهو عنده، ويتعدَّى بأكلِ هذا الحرامِ. هذا التعدي ينكرُ أنْ يكونا مختلفَيْنِ، ويقولُ هذا وهذا واحدٌ))[٨٧].

إنَّ هذا القول يؤيد المفهوم العام لمعنى البغي والاعتداء من غير النظر إلى المصاديق، أو تقيده بها؛ ليكون الإنسان على بينة بأنَّ لكُلِّ تصرُّف حدوداً معينة واضحة قد بينتها الشريعة المقدسة وهي واضحة جلية، ويجب على الإنسان أنْ يكون على بينة منها؛ لئلا يقع في

ٱرتكاب المحرمات، وهذا المعنى يمكن أنْ يكون أكثر تربية للإنسان على المستوى الشخصي والاجتماعي، وإنْ كان مورد نزول الآية لواقعة معينة.

وقال في بيان القول الثالث: ((فمن ٱضطرَّ غيرَ باغٍ في أكلهِ شهوةً، ولا عادٍ فوقَ ما لا بُدَّ لَهُ منه))[٨٨].

إنَّ هذا القول الأخير يمكن أنْ يكون من ضمن القول الثاني بوجه عام، وإنْ كان قد تم تحديده بالشهوة التي تقود صاحبها إلى ٱرتكاب المحرمات، وفي ذلك تحذير للإنسان من الانقياد وراء الشهوات، وما يتطلب منه من معرفة تامة، فضلًا عن العمل الذي هو بمثابة الجهاد الأكبر كما ورد في روايات جهاد النفس.

**٢- قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) في بيان ما يتعلق بالاضطرار:** ذاكرًا قولين في بيان المراد منه حيث قال: ((﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى أكلِ هذهِ الأشياءِ ضرورةَ مجاعةٍ عن أكثرِ المفسرينَ، وقيل: ضرورةَ إكراهٍ. وتقديرهُ فمَنْ خافَ على النفسِ من الجوعِ ولا يجدُ مأكولًا يسُدُّ به الرمقَ))[٨٩].

إنَّ هذا التفسير للاضطرار كما تقدم بيانه يقابل الاختيار الذي يمرُّ به الإنسان، ولكنه أشار إلى الشق الثاني من تفسير الاضطرار في هذه الآية وهو الإكراه على أكل المحرمات، وبيان الحكم الشرعي له، فقد يكون الإنسان غير مضطر ٱضطرار مجاعة، ولكن يكره على فعل الحرام كراهة لا يمكن تحملها عادة، وهذا المعنى لم تشر إليه رواية الإمام الجواد عليه السلام، بل ٱستعرضت الرأي الأول المتقدم للاضطرار.

وأما فيما يتعلق بالبغي والاعتداء فقال: ((وقوله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ قيل: فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: غيرَ باغٍ اللذةَ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ سَدَّ الجوعةِ. وثانيها: غيرَ باغٍ في الإفراطِ، ولا عادٍ في التقصيرِ. وثالثها: غيرَ باغٍ على إمامِ المسلمينَ، ولا عادٍ بالمعصيةِ طريقَ المحقينَ، وهو المرويُّ عن أبي جعفرٍ وأبي عبد الله وعن مجاهد وسعيد بن جبير))[٩٠].

إنَّ هذه التفسيرات تبيِّن بوضوح ما يتعلق بهذه المحرمات التي وردت في الآية المباركة، وأشارت إليها الرواية الشريفة للإمام الجواد عليه السلام، وما يتعلق بجواز تناول ذلك عند الاضطرار، وقد وردت روايات تفسيرية متعددة عن الأئمة عليهم السلام في تفسير الآية المباركة[٩١].

**- الثالث: آيات الأحكام.**

قد تبيَّن من خلال ما تقدم أنَّ هذه المحرمات الأربعة المذكورة لا يجوز تناولها إلا في حال الاضطرار، وقد أفاد النص جواز ذلك للذي يتناوله في حال معين، وعُدَّت هذه الآية المباركة من آيات الأحكام التي ذكرها العلماء في كتاب الأطعمة والأشربة، قال الشيخ فاضل الجواد الكاظمي (ق١١هـ): ((فلا إثمَ عليه، لا ذنبَ ولا تحريمَ عليه في التناول، إنَّ اللهَ غفورٌ لما فعلَ، رحيمٌ يرخصُ مثلَ ذلكَ حالَ الضرورة، وقد سلفَ الوجهُ في الجمع بينَ الوجهين، قال القاضي: فإنْ قيلَ: إنَّما يفيدُ قصرَ الحكم، وكم من حرامٍ لم يذكر، قلتُ: المرادُ قصرَ الحرمة على ما ذُكرَ مما ٱستحلُّوه لا مطلقًا، أو قصرَ حرمته على حالِ الاختيار، كأنَّه قيل: إنَّما حُرِّمَ عليكُمْ هذهِ الأشياءَ ما لم تضطرُّوا إليها))[٩٢].

فالحكم الشرعي المستفاد من الآية المباركة ظاهر في إفادة الإباحة عند الاضطرار في حالات خاصة.

وقال الشيخ باقر الإيرواني عند بيانه لحال المضطر: ((عرفنا حرمةَ تناولِ كُلِّ ما ٱنطبقَ عليه أحدُ العناوينَ السابقة، ولكن ينبغي ٱستثناءُ حالة الاضطرارِ فإنَّه يجوزُ التناولُ بالمقدارِ الذي ترتفعُ به الضرورةُ.... وينبغي أنْ يكونَ واضحًا أنَّ الأكلَ على الباغي والعادي وإنْ كانَ محرَّمًا شرعًا، ولكنَّهُ يلزمُ ٱرتكابَهُ عقلًا من بابِ ٱرتكابِ أخفِّ القبيحين، وأهونِ المحذورين، كما هو واضحٌ))[٩٣].

فمنهج الثقلين في بيان الحكم الشرعي ظاهر، وإنَّ الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام قد بيَّنت ذلك وأكدته، مع بيان بعض المصاديق للبغي والاعتداء.

هذا ما حاولت بيانه بإيجاز حول الروايات التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام، فأرجو أنْ تكون قراءة قرآنية جديدة لذلك التراث الروائي العظيم، وأنْ يوفقنا لإتمام مشروعنا مع الروايات الأخرى الواردة عن المعصومين عليهم السلام؛ لتنهل الأمة من موارد العلم التي هي أهل لذلك.

## خاتمة وتوصية:

١- إنَّ تراث الأئمة عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم كبير ومهم جدًّا، وقد تناول

موضوعات متعددة عقدية وفقهية وتربوية وغيرها، ومن المهم تسليط الضوء عليها، وبيان آثاره المعرفية المختلفة.

٢- إنَّ الإمام محمد الجواد عليه السلام على رغم صغر سنِّه الشريف، ولكن كان له إرث معرفي كبير في علوم الشريعة المقدسة المختلفة، ومنها تلك الروايات الشريفة المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، وقد تم عرض بعض ذلك تأكيداً لمنهجهم عليهم السلام في خدمة الدين والمجتمع.

٣- إنَّ هذه الروايات التي تم عرضها قد تم الإفادة منها في موضوعات متعددة، وقد حاول الباحث عدم الاقتصار على الجانب التفسيري للألفاظ، وإنَّما الإفادة منها في غير ذلك.

٤- إنَّ مقارنة كلمات المفسرين الذين تم الرجوع إليهم في البحث لتأكيد أهمية الموروث الروائي التفسيري، وأهمية الرجوع إليه واستنطاقه؛ لمعرفة منهج المعصوم في التعامل مع الآيات القرآنية، والإفادة بما وصل إلينا من ذلك الإرث التفسيري.

٥- يوصي الباحث بضرورة تسليط الضوء على الروايات التفسيرية الواردة عن الأئمة عليهم السلام في الدراسات الأكاديمية، وبيان إفادة الدراسات الحديثة منها؛ لإحياء ذلك التراث من جهة، وتعريف الباحثين والطلبة بهذا الإرث المبارك.

## هوامش البحث

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي ٣٥/١.
(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٢٧/١.
(٣) معجم مصطلحات الرجال والدراية، محمد رضا جديدي نزاد ص١٤.
(٤) القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي ص٧٠.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٧) أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري من أهل بغداد، جليل القدر، ثقة، عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام، وقد شاهد جماعة منهم الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر عليهم السلام. ينظر: معجم رجال الحديث ١٢٢/٨-١٢٤.

(٨) الكافي ٩٩/١ باب (في إبطال الرؤية) الحديث ١١.

(٩) معجم مقاييس اللغة مادة (درك).

(١٠) سورة يونس: الآية ٩٠.

(١١) سورة القلم: الآية ٤٩.

(١٢) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

(١٣) المفردات في غريب القرآن ص٣١١-٣١٢ (درك).

(١٤) مجمع البحرين ٢٢٣/٣ (بصر).

(١٥) للتفصيل ينظر مثلًا: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري ١٣/١٢-١٤. فالطبري بعد إيراده الروايات المتعددة، ثم ذكر الرأي الذي يذهب إليه ويؤيده، حيث قال: ((وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، مَا تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ))، فَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَهُ، وَالْكَافِرُونَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ، كَمَا قَالَ جِلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾)). وهذا هو مذهب العامة كما سيتم بيانه ومعرفته.

(١٦) التبيان في تفسير القرآن ٢٢٣/٤.

(١٧) التفسير الكبير ٩٧/١٣-٩٨.

(١٨) الميزان في تفسير القرآن ٣٠١/٧-٣٠٢.

(١٩) ينظر: مناهج اليقين في أصول الدين، العلامة الحلي ص٢٠٩-٢١٢ ، حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر ٣٩/١-٤٠، الإلهيات، الشيخ حسن محمد مكي العاملي ١٢٥/٢-١٤٠.

(٢٠) الكافي ٧٨/١ باب (في إبطال الرؤية) الحديث ٧.

(٢١) التوحيد، الشيخ الصدوق ص٦٥.

(٢٢) شرح أصول الكافي٢٣٣/٣-٢٣٤.

(٢٣) الجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ١١٢/١.

(٢٤) المصدر نفسه ١١٣/١.

(٢٥) الإبانة عن أصول الديانة، علي بن إسماعيل ص٢٦.

(٢٦) سورة الإخلاص: الآيتان ١-٢.

(٢٧) الكافي ١٢٣/١.

(٢٨) نهج البلاغة، الشريف الرضي ١٥/١.
(٢٩) المفردات في غريب القرآن ص٢٨٦ (صمد).
(٣٠) مجمع البحرين ٦٣٤/٢ (صمد).
(٣١) شرح أصول الكافي ٦٠/٤.
(٣٢) التبيان في تفسير القرآن ٤٣٠/١٠-٤٣١.
(٣٣) يقسِّم علماء الكلام الوجود على أقسام ثلاثة، واجب الوجود، وممكن الوجود، وممتنع الوجود، ويطلق واجب الوجود على الله تعالى وهو مصدر الوجود لكل الموجودات، المستغني في وجوده عن المؤثر، والممكن هو الموجود بغيره. للتفصيل ينظر: مناهج اليقين في أصول الدين ص٤٧.
(٣٤) التفسير الكبير ١٦٥/٣٢، ثم يذكر الرازي ثمانية وجوه للنوع الأول وهو كونَهُ تعالى سيِّدًا مرجوعًا إليه في دفع الحاجات، وذكر ثمانية عشر وجهًا للنوع الثاني وهو كونَهُ تعالى واجبَ الوجودِ في ذاته وفي صفاته، ثم ذكر ما يتعلق بالوجه الثالث وهو كونه جامعًا للوجهين. ينظر: التفسير الكبير ١٦٥/١٣-١٦٦.
(٣٥) التفسير الكبير ١٦٦/٣٢.
(٣٦) سورة الأعراف: الآية٥٤.
(٣٧) سورة النجم: الآية٤٢.
(٣٨) الميزان في تفسير القرآن ٣٨٨/٢٠.
(٣٩) المصدر نفسه٣٩١/٢٠.
(٤٠) سورة الإنسان: الآية ٣.
(٤١) محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى، كانَ من أوثقِ الناسِ عندَ الخاصة والعامة، وأنسكهم نسكًا، وأورعهم وأعبدهم، وأدركَ من الأئمة ثلاثةً: أبا إبراهيم موسى عليه السلام ولم يروِ عنه، وأدركَ الرضا عليه السلام وروى عنه، والجوادَ عليه السلام)). معجم رجال الحديث ٢٩٣/١٥.
(٤٢) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي ص ٧٠٦.
(٤٣) سورة طه: الآية ٥٠.
(٤٤) سورة السجدة: الآية ٢٤.
(٤٥) سورة محمد: الآية ١٧.
(٤٦) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.
(٤٧) سورة محمد: الآيتان ٥-٦.
(٤٨) المفردات في غريب القرآن ص٨٣٥-٨٣٦ (هدي).
(٤٩) سورة الشورى: الآية ٥٢.
(٥٠) سورة القصص: الآية ٥٦.
(٥١) مجمع البحرين ٤٧٣/١ (هدي).

(٥٢) سورة الصافات: الآيتان ٢٢-٢٣.

(٥٣) التهكُّم هو إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، مثل قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان:٤٤). البرهان في علوم القرآن ٨٠/٤.

(٥٤) لقد ورد أنَّ للهدى في القرآن الكريم أثنين وعشرين وجهًا تم بيانه فيه. للتفصيل ينظر: وجوه القرآن، إسماعيل بن أحمد النيسابوري ص٥٦٨- ٥٧٢.

(٥٥) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٥٦) التبيان في تفسير القرآن ١٢٣/١٠.

(٥٧) التبيان في تفسير القرآن ١٢٣/١٠.

(٥٨) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٥٩) التفسير الكبير ٧٤١/٣٠.

(٦٠) سورة البلد: الآية ١٠.

(٦١) سورة العصر: الآية ٢.

(٦٢) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

(٦٣) التفسير الكبير ٧٤١/٣٠.

(٦٤) الميزان في تفسير القرآن ١٢٣/٢٠.

(٦٥) سورة عبس: الآية ٢٠.

(٦٦) الميزان في تفسير القرآن ١٢٣/٢٠.

(٦٧) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٦٨) أبو الحسن علي بن مهزيار الأهوازي، كان أبوه نصرانيًا فأسلم، صحيح العقيدة، ثقة في الرواية، جليل القدر، واسع الرواية، أختص بالإمام الجواد عليه السلام وكان وكيلًا عنه، وذا منزلة عظيمة، وكذلك في زمن الإمام الهادي عليه السلام وكان وكيلًا له في بعض النواحي. ينظر: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي ٢٠٦/١٣-٢٠٧.

(٦٩) ثقة، من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام، وعُدَّ أيضًا من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام. ينظر: معجم رجال الحديث ١٣٩/٢٢.

(٧٠) الكافي ٢٨٢/٣.

(٧١) المفردات في غريب القرآن ص١٦١ (خيط).

(٧٢) مجمع البحرين ٢٤٧/٤ (خيط).

(٧٣) فقه القرآن ٢٠٢/١.

(٧٤) المصدر نفسه.

(٧٥) كنز العرفان ص١٩١. وقد ورد أنَّ الخيطين في الآية إنما على وجه التشبيه ((فقد شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق بالخيط الأبيض الممدود، وما يمتد من غبش الليل بالخيط الأسود الممدود، وهو تشبيه مألوف كثيرًا)). إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش ٢٤٥/٢.

(٧٦) التفسير الكبير ٢٧٣/١٥.

(٧٧) الميزان في تفسير القرآن ٤٩/٢.

(٧٨) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

(٧٩) أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من أصحاب الإمام الجواد والهادي عليهما السلام، ورد الري هاربًا من السلطان، أثنى عليه الأعلام، ووردت روايات متعددة عنه. ينظر: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي ٥٠/١١.

(٨٠) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ٩٧/٩.

(٨١) المفردات في غريب القرآن (بغي) ص٥٦.

(٨٢) المصدر نفسه (عاد) ص٣٢٧.

(٨٣) ينظر: مجمع البحرين ٥٤/١-٥٦ (بغا).

(٨٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٢٠/٣.

(٨٥) معجم لغة الفقهاء، الدكتور محمد قلعجي ص٧٣.

(٨٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٢٢/٣.

(٨٧) المصدر نفسه ٣٢٣/٣-٣٢٤.

(٨٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٢٤/٣.

(٨٩) مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٦٧/١.

(٩٠) المصدر نفسه.

(٩١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني ٣٨٠/١-٣٨١.

(٩٢) مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام ١٥٢/٤.

(٩٣) دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام ٦١٧/١-٦١٨.

## قائمة المصادر والمراجع

**إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.**


١- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت٣٢٤هـ/٩٣٩م)، تحقيق وتعليق: الدكتورة فوقية حسين محمود، (مط التقدم، مصر، ط١، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م).

٢- الإلهيات، الشيخ حسن محمد مكي العاملي، الإلهيات، (مؤسسة الإمام الصادق "عليه السلام"، قم، ط٦، ١٤٢٦هـ).

٣- البرهان في تفسير القرآن، السيد أبو المكارم هاشم بن سليمان البحراني (ت١١٠٧/١٦٩٥م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٤- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ/١٣٩٢م): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م، د.ط).

٥- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ).

٦- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ق٣)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي "عليه السلام"، (مؤسسة الإمام المهدي "عليه السلام"، قم، ط١، ١٤٣٥هـ).

٧- التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، تصحيح: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٨- تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر مكتبة الصدوق، طهران، ط١، ١٤١٧هـ.

٩- التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، تعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، (دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت).

١٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن "تفسير الطبري"، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، د.م).

١١- الجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج مسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

١٢- حق اليقين في معرفة أصول الدين، السيد عبد الله شبر (ت١٢٤٢هـ/١٨٢٦م)، (مط مهر، قم، ط٣، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م).

١٣- شرح أصول الكافي، الشيخ محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ/١٦٧٠م)، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

١٤- فقه القرآن، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت٥٧٣هـ/١١٧٧م)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، (مط الولاية، قم، ط٢، ١٤٠٥هـ).

١٥- القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، ترجمة السيد أحمد الحسيني، (ط١، مط سرور، قم، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

١٦- الكافي، محمد بن يعقوب الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ/٩٤١م)، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، د.ط).

١٧- كنز العرفان في فقه القرآن، جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري (ت٨٢٦هـ/١٤٢٣م)، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم العقيقي البخشايشي، (مط نويد إسلام، قم، ط٣، ١٤٢٨هـ).

١٨- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ/١٦٧٤م)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، (مط الحيدري، قم، ط١، ١٣٧٥هـ).

١٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢٠- مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، الشيخ فاضل الجواد الكاظمي (ت ق١١هـ)، (مط ستارة، قم، ط٤، ١٤٢٩هـ).

٢١- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، (ط٥، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م. د.مط، د.م).

٢٢- معجم مصطلحات الرجال والدراية، محمد رضا جديدي نزاد، (مط دار الحديث، قم، الناشر دار الحديث، ١٤٢٤هـ).

٢٣- معجم لغة الفقهاء، الدكتور محمد رواس قلعجي، (دار النفائس، يروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م).

٢٤- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، أعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، د.ط).

٢٥- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

٢٦- مناهج اليقين في أصول الدين، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، تحقيق: يعقوب الجعفري المراغي، (مط إسوة، ط١، ١٤١٥هـ، د.م).

٢٧- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، (دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ).

٢٨- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ١٩٨٢م)، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٢٩- نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م)، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت).

٣٠- وجوه القرآن، أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد النيسابوري (ت٤٣١هـ/١٠٣٩م)، تحقيق وتعليق: د. نجف عرشي، (مؤسسة الطباعة في الأستانة الرضوية، مشهد، ط٢، ١٤٣٢هـ).